

أولاد الحسب والنسب ومن تحتهم

السبت ٢٩/مايو/٢٠٢

لا أعرف ما الذى أعادني إلى صفحة كنت قد طويت طرفها، فى كتاب يعود إلى ربع قرن مضى. الكتاب للدكتور جلال أمين. والصفحة إحدى أوراق «ماذا حدث للمصريين؟»، والعنوان (الطبقة الوسطى). وقبل أن أخمن ماذا سجلت بالقلم الرصاص على الهامش ، وجدتي أذكر. كتبت وقتها، وتذكرت الآن (ماذا سيكون عليه حال الطبقة الوسطى بعد ٢٠ عاما؟). الدكتور جلال أمين اخذ صورة فوتوغرافية للمجتمع، تعكس حال الطبقات الثلاث الدنيا، والوسطى، والعليا في فترتين زمنيتين، تفصل بينهما أربعون عاما. الأولى عام ١٩٥١ مستندا لتقرير للحكومة البريطانية يرصد الشريحة العليا محددًا حجمها بـ ١% من المصريين، يحصلون على دخل سنوي يبلغ ١٥٠٠ جنيه للأسرة. بينما ٨٠% لا يزيد دخل الأسرة على ٢٤٠ جنيهًا. يتبقى من اعتبرهم الطبقة الوسطى وهم ١٩%. ولم تكن الطبقة العليا وقتها تزيد على ٢٠٠ ألف فرد، من بين ٢١ مليونًا. وفى المقابل لم تتجاوز الطبقة الوسطى أربعة ملايين. وفى حقبة التسعينات عاد ليلتقط صورة أخرى، حددت موقعًا آخر للطبقة الوسطى، معتبرا أن الحراك الاجتماعي الذى أحدثته ثورة يوليو وما بعدها، جعل المنتمي للطبقة الوسطى لا يعتبر ان الانتماء الى الطبقة العليا يستوجب الانتماء إلى عائلة ذات حسب ونسب، كما كان الحال قبل الثورة، فزاد سقف طموحاته.. عدسة الدكتور أمين رصدت عام ١٩٩١ حدا فاصلا بين الطبقة الدنيا والوسطى، عند دخل قدره ٣٠٠ جنيه للأسرة، معتبرا ما دونه فقيرا. أما الفاصل بين الطبقتين الوسطى والعليا فهو ١٠ آلاف جنيه للأسرة شهريا. واعتبر أن ٤٥% من المصريين ينتمون إلى الطبقة الوسطى. وبالبحث عن رد لسؤالي المكتوب بالقلم الرصاص، رحت ألتقط صورة فوتوغرافية بعد مرور ٣٠ عاما. وجدت أن ٩٠% من المصريين دخلهم الشهري أقل من ١٩١٦ جنيهًا في عام ٢٠٢٠/٢٠١٩. وإذا كان الخط الذى يفصل بين الفقراء وبين الغير هو ٨٥٧ جنيهًا في الشهر كما ذكر جهاز الإحصاء، فهل يمكن النظر إلى صاحب دخل ١٩١٦ جنيهًا علي أنه طبقة وسطى، أم هو الأقرب إلى محدودي الدخل؟. وهنا لم يعد لدينا سوى ١٠% من المصريين نخرج منهم ١% لنضعهم في خانة أصحاب الحسب والنسب، فيصبح حاصل الطرح ٩% وهو ما يضم المتمسحين بالطبقة الوسطى دون نيل شهادة بالانتماء لها، والذين يتساقطون بفعل يوميات التضخم . فلا يتبقى سوى أقل القليل لنضعهم في خانة الطبقة الوسطى على استحياء. وما زال الأمر يحتاج إلى صور فوتوغرافية كثيرة لهواة التصوير.